الصاحب بن عباد والتشيع

بقلم العلامة الشيخ جعفر نقدي

ضمني مجلس من المجالس الأدبية مع جماعة من الادباء فخاضوا في امور شتى من الشعر والتأريخ وغيرها حتى انشد بعضهم هذين البيتين للصاحب ابن عباد :

تعرفت بالعدل في مذهبي ... وزان بحسن جدالي العراق
وكلفت في الحب ما لم اطق ... فقلت بتكليف ما لا يطاق

وقال ان الصاحب كان سنياً معتزليا ولذلك كان يقول : بالعدل وبهذين البيتين استدل صاحب طبقات الادباء على اعتزاله فاجبته ان البيتين المذكورين لايدلان على تسننه ولا على اعتزاله لان الشيعة يشاركون المعتزلة في القول بالعدل ومذهبهم مشهور ومعلوم لان اصول الدين عند الشيعة خمسة (التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد) فاجابني ان صلاح الدين خليل ابن ايبك الصفدي صرح بكون الصاحب ابن عباد من المعتزلة وذلك عند عداده المشاهير منهم في شرحه على لامية العجم وعين عبارته (ومن المعتزلة الصاحب ابن عباد والزمخشري صاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي) فقلت له ان الصفدي قد غلط في نسبة هذا الرجل الى الاعتزال كما غلط صاحب طبقات الادباء الذي نقلت عنه البيتين المتقدمين لان تشيع الصاحب ليس هو بالامر الخفي وقد صرح بذلك جماعة من اساطين الشيعة الذين معرفتهم بالرجال وعقائدهم اكثر من الصفدي ومن صاحب طبقات الادباء وهم السيد رضي الدين ابن طاووس الحلي في كتابه كشف اليقين وابن شهر آشوب السروي في كتابه معالم العلماء والمولى محمد تقي المجلسي وولده العلامة صاحب البحار بل ان الاول منها وصفه بكونه من أفقه فقهاء الشيعة الامامية وبكونه رئيس المحدثين وذلك في كتابه نقد الرجال نقل ذلك العلامة الخونساري في كتابه (روضات الجنات)

وبعد ان انفض المجلس وعدت ذلك الاديب ان اكتب كلمة مبسوطة توضح تشيع الصاحب وتنبئ عن غلط من نسبه الى السنيين والاعتزال فكتبت هذه الكلمة وبالله التوفيق فاقول ان الاناس الذين تقدمت ازمنتهم على زماننا ولم نشاهدهم انما نعرف عقائدهم التي كانوا يعتقدون بها اما بالشهرة والشياع او باثارهم العلمية اوالادبية ان كانت لهم آثار او بشهادة العدول والثقات ومع التعارض فبالرجوع الى الترجيح بين الجارح والمعدل والاخذ بالارجح كما تقرر في علم الاصول وبناءً على ماذكرناه اذا اردنا ان نحقق حال الصاحب ابن عباد رحمه الله بالشهرة والشياع وجدناه شيعيا بتمام معنى الكلمة وذلك لما كان عليه من الاخلاص لعلماء الشيعة الذين عاصروه حتى انهم كتبوا المؤلفات باسمه وسجلوا فيها عقائد الشيعة في الائمة المعصومين (ع) وكان يتلقاها بعين الرضا والقبول ويدر عليهم الاموال بازائها فمن ذلك كتاب عيون اخبار الرضا الذي كتبه باسمه واهداه اليه شيخ مشايخ الشيعة ومصنف احد كتبهم الاربعة : (كتاب من لايحضره الفقيه) الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي طاب ثراه وهو مطبوع على الحجر من المطبوعات الايرانية متداول بين الناس وقد ذكر قدس سره في صدر الكتاب بعد الخطبة ما يأتي وقع الي قصيدتان (١) من قصائد الصاحب الجليل كافي الكفات

(١) اول القصيدة الاولى من القصيدتين الذين نظمها الصاحب رحمه الله :

يا سائراً زائراً الى طوس ... مشهد طهر وارض تقديس
ابلغ سلامي الرضا وحط على ... اكرم رمس لخير مرموس
ياسيدي وابن سادة ضحكت ... وجوه دهري عقيب تعبيس
لما رأيت النواصب انتكست ... راياتها في زمان تنكيس
صدعت بالحق في ولايتكم ... والحق مذ كان غير منحوس

الى ان قال :

ان ابن عباد استجار بكم ... فلا يخاف الليوث في الخيس

واول القصيدة الثانية :

يا زائراً قد نهضا ... مبتدراً قد ركضا
وقد مضى كأنه ال ... برق اذا ما او مضا
بلغ سلاما زاكيا ... بطوس مولاي الرضا
سبط النبي المصطفى ... وابن الوصي المرتضى

ابي القاسم اسماعيل ابن عباد اطال الله بقاءه وادام توفيقه في اهداء السلام الى الرضا عليه السلام- فصنفت هذا الكتاب لخزانته المعمورة ببقائه اذ لم اجد شيئا آثر عنده واحسن موقعا لديه من علوم اهل البيت صلوات الله عليهم لتعليقه أدام الله عزه بحبلهم واستمساكه بولايتهم واعتقاده بفرض طاعتهم وقوله بامامتهم واكرامه لذريتهم واحسانه الى شيعتهم قاضيا بذلك حق انعامه علي ومتقربا به اليه لاياديه الزهر عندي ومننه الغر لدي ومتلافيا بذلك تفريطي الواقع في خدمة حضرته راجيا به قبوله لعذري وعفوه عن تقصيري وتحقيقه لرجائي فيه واملي والله تعالى ذكره يبسط بالعدل يده ويملي بالحق كلمته ويديم على الخير قدرته (ثم نقل القصيدتين وختم كلامه بالدعاء له ايضا .

وكذلك اخو الصدوق الحسين بن علي بن بابويه رحمه الله صنف باسمه كتابا معروفا لدى اهل العلم وكذلك غيرها من علماء الشيعة الامامية . قال القاضي التستري زه في كتابه مجالس المؤمنين ان تشيع هذا الصاحب العميد واهتمامه في ترويج مذهب اهل العدل والتوحيد في غاية الاشتهار بحيث كانت الامامية منسوبة اليه ومعروفة به في زمانه باصبهان الى آخر ماقال طاب ثراه .

اما آثار الصاحب العلمية والادبية فهي صريحة في تشيعه قال السيد القاضي المتقدم ذكره بعد مانقل مصنفاته وله كتاب في علم الكلام يذكر في مبحث الامامة منه هذه الفقرات الرائعة في وصف مولانا امير المؤمنين علي بن ابيطالب صلوات الله عليه (صنوه الذي آخاه واجابه حين دعاه وصدقه قبل الناس ولباه وساعده وواساه وشيد الدين وبناه وهزم الشرك واخزاه وبنفسه على الفراش فداه ومانع عنه وحماه وارغم من عانده وتلاه وغسله ووارا ه وادى دينه وقضاه وقام بجميع ما أوصاه ذاك امير المؤمنين لاسواه (قلت ومن مصنفاته) الدالة على تشيعه كتاب الاعياد وفضل النيروز وكتاب احوال السيد عبدالعظيم الحسني وفضل زيارته وانت تعلم ان مثل هذين الكتابين لايقوم بتصنيفها الا الشيعي البحت لان طرق رواياتها محصورة برجال الشيعة لاغيرهم ومن آثار الصاحب الادبية قصائده المشهورة ومقاطيعه السائرة في امير المؤمنين واولاده المعصومين ولايوجد في شعره المروي في كتب السنة والشيعة ذكر لغيرهم وكان نقش خاتمه برواية الصدوق وغيره شفيع اسماعيل في الآخرة محمد والعترة الطاهرة ونقش خاتم آخر له طاب رمسه على الله توكلت وبالخمس توسلت ومن شعره برواية العلامة المفسر لكتاب الله الشيخ ابي الفتوح الرازي قوله :

ابا حسن لو كان حبك مدخلي جحيما لكان الفوز عندي جحيما
وكيف يخاف النار من كان موقنا بان امير المؤمنين قسيما

وروى غيره :

كيف يخاف النار من هو موقن بانك مولاه وانت قسيما

وقوله برواية الثعالبي في يتيمة الدهر :

حب علي بن ابي طالب هو الذي يهدي الى الجنة
ان كان تفضيلي له بدعة فلعنة الله على . . . .

ومن ذلك برواية الثعالبي ايضاً :

ناصب قال لي معاوية خا لك خير الاعمام والاخوال
فهو خال المؤمنين جميعاً قلت خالي لكن من الخير خالي

ومن ذلك برواية السيد المرتضى في الغرر والدرر :

لوشق عن قلبي ترى وسطه سطران قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب وحب اهل البيت في جانب

ونقل هذين البيتين صاحب اليتيمة عنه بهذا اللفظ :

لوفتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطا بلا كاتب

- ومنها :

في الصدر لفح حرقة يترك قلبي حرضا
من ناصبين غادروا قلب الموالي ممرضا
صرحت عنهم معرضا ولم اكن معرضا
نابذتهم ولم ابل ان قيل قد ترفضا
يا حبذا رفضي لمن نابذكم وابغضا

الى ان قال :

امانة موردة على الرضا ليرتضى
رام ابن عباد بها شفاعة لن تدحضا

حب علي بن ابي طالب وحب مولاي ابي طالب

ومن ذلك قوله طاب ثراه :

يا امير المومنين المرتضى ان قلبي عندكم قد وقفا
كلما جددت مدحي فيكم قال ذوالنصب نسيت السلفا
من كمولاي علي زاهد طلق الدنيا ثلاثاً ووفى
من دعى للطير اذ يأكله ولنا في بعض هذا مكتفى
من وصي المصطفى عندكم ووصي المصطفى من يصطفى

وقوله من قصيدة غراء :

برئت من الارجاس رهط امية لما صح عندي من قبيح عدائهم
وقتلهم السادات من آل هاشم وسبيهم عن جرأة لنسائهم
وذبحهم خير الانام ارومة حسين العلى بالكرب في كربلائهم
وايقنت من كان النبي واهله وسائله لم يختش من غلوائهم
حسين توسل لي الى الله انني بليت بهم فادفع عظيم بلائهم
فكم قد دعوني رافضيا لحبكم فلم يثنني عنكم طويل عنائهم

وقوله في ختام قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام :

يابني المصطفى بكيت وابكيت ونفسي لم تأت بعد يسول
ليت روحي ذابت دموعا فابكي الذي نالكم من التذليل
فولائي لكم عتادي وزادي يوم القاكم على سلسبيل
لي فيكم مدائح ومراث حفظت حفظ محكم التنزيل
قد كفاني في الشرق والغرب فخراً ان يقولوا من قيل اسماعيل
ومتى كادني النواصب فيكم حسبي الله وهو خير وكيل

وقوله :

يحب علي تزول الشكوك وتزكو النفوس ويصفو النجار
فمهما رأيت محبا له فتم العلاء وتم الفخار
ومهما رأيت عدواً له ففي اصله نسب مستعار
فلا تعذلوه على بغضه فحيطان دار ابيه قصار

ومن لطائفه في التشيع ان بعض الامويين جاء مسترفداً والما طاقا وقوفه ببابه ارسل اليه هذه الابيات :

أيا صاحب الدنيا ويا مالك الأرض اتاك كريم الناس في الطول والعرض
له نسب من آل حرب موثل روابطه لاتستميل الى النقض
فزوده بالتقوى ودثره بالعطا لتقضي حق الدين والشرف المحض

فلما تأملها وقع تحتها :

انا رجل يرميني الناس بالرفض فلا عاش حربي لدي على خفض
ذروني وآل المصطفى خيرة الورى فان لهم حبي كما لكم بغضي
فلولي عضو مال عن آل احمد لشاهدت بعضي قد تبرء من بعضي

هذا وآثار الصاحب العلمية والادبية الدالة على تشيعه كثيرة جدا فلنقتصر على ماذكرناه ففيه الكفاية لذي العقل السليم.

اما شهادة العدول في تشيعه فقدمر ذلك وشهادة الاخرين في اعتزاله لاتعارض شهادتهم لان القائلين بتشيعه على كثرتهم محروزة عدالتهم وهم اطلع بحال الرجل لكون البعض منهم كان معاصراً له والبعض الآخر قارب عصره وبالنظر الى ماشرحناه لم يبق شك ولاريب في ان الصاحب اسماعيل بن عباد كافي الكفات كان شيعيا اماميا من وجوه الطائفة ومن علمائها الاعلام ومن شعراء الائمة المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين

بغداد

جعفر بقري

حكمة العدد

١ ـ النوم راحة الجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل . ٢ ـ العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق ولايزيده سرعة السير من الطريق إلا بعداً . ٣ ـ ينبغي للعاقل ان يكون مقبلا على شانه حافظاً للسانه عارفا باهل زمانه . ٤ ـ اجعل قلبك قرينا تزاوله ، واجعل علمك والدك تتبعه واجعل نفسك عدواً تجاهده واجعل مالك كعارية تردها . ٥ ـ من لم يكن له واعظ من قلبه وزاجر من نفسه ولم يكن له قرين مرشداً تمكن عدوه من عنقه .

الصادق (ع)